المحاضرة الثّامنة: الصناعة المُعجميّة عند المُحدثين

عرفت الصّناعة المعجميّة نهاية القرن التّاسع عشر، وخلال القرن العشرين، اهتماماً وتطوّراً كبيرين، خصوصاً عند الغرب كما رأينا في المحاضرة السّابقة. ولاعتبار أنّ العرب لهم تاريخ وأسبقيّة في هذا العلم/الفن، فقد اجتهد عدد من الباحثين منهم في صناعة معاجم حديثة، تأخذ بقواعد الصّناعة الحديثة الّتي برزت في الغرب، وقد اتّخذت هذه الجهود شكلين؛ فردي اجتهادي وجماعي تحت إشراف رسمي مؤسّساتي (مجامع اللّغة العربيّة).

1. الجهود المعجميّة الفرديّة:

برزت خلال القرن التّاسع عشر، جهود من عدد من اللّغويين العرب، مسايرة التّطوّر في الصّناعة المعجميّ، وأخذت هذه المحاولات أشكالاً عدّة من التّنظيرات، من أبرزها نذكر[1]:

- وضع منهجيّة جديدة للمعجم العربي.
- تأليف المعاجم الميسّرة.
- إعادة ترتيب المعاجم القديمة ترتيباً سهلاً.

ومن أبرز الأعمال المجدّدة للصّناعة المعجميّة العربيّة، تلك الّتي نادى بها أحمد فارس الشّدياق (1804-1887م) في معجمه الجاسوس على القاموس، أين وضع أسساً مستحدثة في المنهج، حيث[2]:

- اعتمد في التّرتيب الخارجي للمادّة التّرتيب الهجائي العادي (أ ب ت ...إلخ).
- وضع منهجين أساسيّين للتّرتيب الدّاخلي:
  - ✓ بالنّسبة للمفردات؛ تقديم الثّلاثي على الرّباعي والرّباعي على الخماسي، والمجرّد على المزيد، ويبدأ بالفعل ثم مشتقّاته.
  - ✓ أمّا الشّروح؛ البدء بالحسّي قبل المعنوي والحقيقي قبل المجازي.
- وضوح التّعريف وتعدّد طرقه، مع خلوّه من الدّور والتّسلسل.
- وغير ذلك من الأسس الّتي استوجبتها الصّناعة المعجميّة الحديثة.

كما سار على نهج التّجديد في العصر الحديث، عدد من اللّبنانيّين اليسوعيّين، منهم[3]:

ـ بطرس البستاني في محيط المحيط: ج1 سنة 1866م، وج2 سنة 1869م.
ـ قطر المحيط لبطرس البستاني أيضاً (اختصار لمحيط المحيط).
ـ سعيد الخوري الشّرتوني في أقرب الموارد في فصيح العربيّة والشّوارد، سنة 1889م.
ـ جرجس همام الشّويري ألّف معجم الطّالب في المأنوس من متن اللّغة العربيّة والاصطلاحات العلميّة والعصريّة، سنة 1907م.
ـ لويس معلوف ألّف المنجد، اختصر فيه محيط المحيط، سنة 1908م.

2. الجهود المعجميّة المجمعيّة:

والمقصود بذلك تحديداً مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، والّذي تأسّس في 14 من شعبان عام 1351هـ الموافق 13 من ديسمبر سنة 1932م، في عهد الملك فؤاد الأوّل، وبدأ العمل فيه سنة 1934م، ونصّ مرسوم إنشائه الصّادر سنة 1932م، على أن يتكوّن المجمع من 20 عضوًا من العلماء المعروفين بتبحّرهم في اللّغة العربيّة، نصفهم من المصريّين، ونصفهم الآخر من العرب والمستشرقين؛ وهو ما يعني أنّ المجمع عالمي التّكوين، لا يتقيّد بجنسيّة معيّنة ولا بدين معيّن، وأنّ معيار الاختيار هو القدرة والكفاءة، عشرةً من المصريّين، وعشرةً من العرب والمستعربين[1].

كما نصّ قانون إنشائه، على أنّ أهدافه وضع معجمات ثلاثة، هي[2]:
ـ معجم وجيز؛ يُقتصر فيه على الألفاظ الكثيرة الدّوران، بقدر ما يناسب الدّراسات الأولى.
ـ معجم وسيط؛ يُتوسّع فيه، مع الاقتصار على الألفاظ المستعملة في فصيح الكلام تأليفاً وإنشاءً، بمقدار ما يناسب الدّراسات الوسطى.
ـ معجم كبير؛ يكون ديواناً عاماً للّغة، جامعاً شواردها وغريبها، مبيّناً أطوار كلماتها، وما طرأ على بعضها من توسّع في الاستعمال، أو تغيّر في المعنى في عصور اللّغة المُختلفة.

وبعد إنشائه أقرّ المجمع مجموعة من الآليات الكفيلة بالنّهوض باللّغة العربيّة وتطويرها، بحيث تساير النّهضة العلميّة والفنّية في جميع مظاهرها، وتصلح موادّها للتّعبير عمّا يستحدث من المعاني والأفكار. واتّخذ في سبيل تحقيق ذلك قرارات لغويّة هامّة، منها[3]:

ـ فتح باب الوضع للمحدثين بوسائله المعروفة من اشتقاق، وتجوّز، وارتجال.

ـ إطلاق القياس؛ ليشمل ما قيس من قبل وما لم يُقسْ.

ـ تحرير السّماع من قيود الزّمان والمكان؛ ليشمل ما يُسمع اليوم من طوائف المجتمع، كالحدّادين والنجّارين والبنّائين، وغيرهم من أرباب الحرف والصّناعات.

ـ الاعتداد بالألفاظ المولّدة، وتسويتها بالألفاظ المأثورة عن القدماء.

وكان أوّل إصداراته المعجم الوسيط، ظهرت الطّبعة الأولى منه سنة 1960م، ضمّ «نحو 30 ألف كلمة، وستّ مائة صورة. ويقع في جزأين كبيرين يحتويان على نحو 1200 صفحة من ثلاثة أعمدة (...) مجدّد ومعاصر، يضع ألفاظ القرن العشرين إلى جانب ألفاظ الجاهليّة وصدر الإسلام، ويهدم الحدود الزّمانيّة والمكانيّة الّتي أقيمت خطأ بين عصور اللّغة المختلفة (...) فيه ألفاظ حديثة، ومصطلحات علميّة»[1]، ليظهر بعده الجزء الأوّل من المعجم الكبير سنة 1970م، في 700 صفحة. والصورة التّاليّة لعيّنة من الباب الأوّل للمعجم الوسيط (باب الهمزة):

بَابُ الهَمْزَة

الهمزة : صوت شديد، مخرَجه من الحنجرة، ولا يُوصف بالجهر أو الهمس .

وتكون الهمزة من حروف المعانى ، فتُستعمل فى النداء ، لنداء القريب ، فيقال : أُبَنَىَّ ؛ وفى الاستفهام ، فيُسأل بها عن أحد الشيئين أو الأشياء ، مثل : أأخوك سافر أم أبوك ؟ ونحو: ﴿ وَإِنْ أَدْرِى أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ ﴾ ، ويكون الجواب بالتعيين . ويُسأل بها عن الإسناد ، مثل : أسافر أخوك ؟ ويكون الجواب بنعم أو بلا . وتقول فى جواب : ألم يسافر أخوك ؟ نعم ، أى لم يسافر ؛ وبَلَى ، أى سافر .

• (آ) : حرف نداء للبعيد .

• (الآس) : شجر دائم الخُضرة ، بيضىّ الورق ، أبيض الزهر أو وَرديّه ، عِطْرىّ ، وثماره لُبِّيَّة سُود تُؤْكل غضّة ،وتُجفّف فتكون من التوابل . وهو من فضيلة الآسِيّات . و ـ ورقة من ورق اللعب ذات نقطة واحدة . (د) .

• (آسيا) : (انظر : أسى) .

• (آل) : (انظر : أول) .

إليه . (انظر: أ ب و) .

(تأَبَّبَ به) : فخَر به .

(الأُبابُ) : الماءُ الكثير .

(الأُبابة) : داءٌ يصيب الغريب ، وهو شدة حنينه إلى وطنه . (مج) .

(الأَبُّ) : العُشْب رَطبه ويابسه . وفى التنزيل العزيز : ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ . وتقول : فلان راعَ له الحَبُّ ، وطاع له الأَبُّ : زكا زرعه ، واتسع مَرْعاه . و ـ لغة فى (الأَبِ) .

(إبّانُ الشّىْء) : أوانُه ، ويغلب استعماله مضافًا ، مثل: إبّان الفاكهة..(انظر: أ ب ن) .

(أَبِيبُ) : الشهر الحادى عشرَ من السنة القِبْطِية .

تظهر بعض صور التّجديد الّتي أقرّها المجمع، بدءاً بدقّة التّرتيب الخارجي (النّظام الألفبائي)، مع الابتداء بالحرف الأصلي الأوّل فالثّاني وهكذا، واعتبار الدّخيل الّذي لم يشتقّ منه جميع أحرفه أصليّة (الآس).

والتزم في التّرتيب الدّاخلي لموادّ المعجم، نهجاً يقوم على[1]:

- تقديم الأفعال على الأسماء.
- تقديم المجرّد على المزيد من الأفعال.
- تقديم المعنى الحسّي على المعنى العقلي، والحقيقي على المجازي.
- تقديم الفعل اللّازم على الفعل المتعدّي.
- أمّا الأسماء فقد رتّبت ترتيباً هجائياً.

ونظراً لتطوّر وسائل الطّباعة اعتمد المجمع، عدداً من الرّموز بيّنها في مقدّمة معجمه، قاصداً بذلك الاختصار والتّوضيح، وهي كالتّالي[2]:

- (ج): لبيان الجمع.
- (ـُـِ): لبيان ضبط عين المضارع بالحركة الّتي توضع فوقها أو تحتها.
- (و ــ): للدّلالة على تكرار الكلمة لمعنى جديد.
- (مو): للمولّد، وهو اللّفظ الّذي استعمله النّاس قديماً بعد عصر الرّواية.
- (مع): للمعرب، وهو اللّفظ الأجنبي الّذي غيّره العرب بالنّقص، أو الزّيادة، أو القلب.
- (د): للدّخيل، وهو اللّفظ الأجنبيّ الّذي دخل العربيّة دون تغيير، كالأكسجين والتّلفون.
- (مج): للّفظ الّذي أقرّه "مجمع اللّغة العربيّة".
- (محدثة): للّفظ الّذي استعمله المحدثون في العصر الحديث، وشاع في لغة الحياة العامّة.

3. إجراءات الصّناعة المعجميّة الحديثة:

يمرّ العمل في المعجم بجملة خطوات قبل أن يرى المعجم النّور ويُطرح في الأسواق، فهي صناعة معقّدة تحتاج إلى فكر موسوعيّ، واطّلاع كبير ومعرفة واسعة باللّغة المعنيّة، وبوحداتها المعجميّة، وبنظامها العام والخاص، وهي[3]:

- إجراءات أوّليّة يجب اتخاذها قبل بدء العمل في المعجم، وتشمل:
  - ✓ وضع تصوّر مبدئي لشكل المعجم ومواصفاته طبقاً لنوع مستعمله.

- ✓ حساب التّكلفة ودراسة الجدوى.
- ✓ التّخطيط للعمل وجدولة المواعيد.
- ✓ إعداد فريق العمل بالمواصفات المطلوبة.

ـ جمع المادّة المعجميّة (مفردات، كلمات، وحدات)، وتحديد المصادر الّتي سيعتمد عليها.

ـ اختيار المداخل (الوحدات المعجميّة)، وذلك بـ:

- ✓ إعداد بيان تقديري بعدد المداخل أو المواد في الحرف الواحد.
- ✓ وضع قاعدة للتّعامل مع الكلمات المتعدّدة المعاني.
- ✓ اتخاذ قرار بشأن الكلمات غير المشيرة إلى شيء خارجي.
- ✓ اختيار منهج للتّعامل مع الكلمات المركّبة وتجمّعات الكلمات.

ـ معالجة المادّة من نواحيها المختلفة (وظائف المعجم).

ـ ترتيب المداخل وفق نظام معيّن.

ـ نشر النّاتج في صورة معجم أو قاموس.

وترتبط جميع تلك الإجراءات والخطوات، بتحديد الهدف من المعجم وطبيعة مستعمليه، ومن أي فئة هم، فمعجم الصّغار غير معجم الكبار، والمعجم الموسوعي غير المعجم البسيط، والعام غير الخاص وهكذا. كما يتبيّن أنّ للمعجم أربعة مكوّنات أساسيّة، هي: مادّة المعجم (المفردات والمشتقّات)، والشّروح والتّعاريف المتعلّقة بها، ومداخل للوحدات الأساسيّة، ثمّ التّرتيب بنوعيه الخارجي الّذي يخص المداخل (ألف بائي عادة)، والدّاخلي للمشتقّات والوحدات الّتي تقع تحتها.

4. الوحدة المعجميّة:

تعتبر المفردة هي الوحدة المعجميّة الأساسيّة، الّتي تقوم عليها الصّناعة المعجمية، تعرف بـ(Lexème)، وتعرّب إلى "اللّكسيم"، تأخذ أشكالاً عدّة، فهي قد «تكون إمّا بسيطة إذا كانت مُفردة، وإمّا مركّبة مُتضامّة إذا تكونت من مُفردتين، وإمّا معقدّة متضامّة إذا تكوّنت من ثلاث مُفرداتٍ أو أكثر، وإمّا عباريّة مُتلازمة إذا كانت عبارة مُعجميّة»[1]، أي كما يلي:

ـ وحدة معجميّة جزئيّة: كالسّوابق واللّواحق في اللّغات الأوروبيّة، أو الحروف والضّمائر المتّصلة في العربيّة، مثل (آ): حرف نداء للبعيد.

ـ وحدة معجميّة بسيطة: جميع المفردات المكوّنة من كلمة واحدة، مثل: (الأبّ) العشب رطبه ويابسه، أو الكلمات الوظيفيّة كالأسماء الموصولة والضمائر المنفصلة وأسماء الإشارة في العربيّة.

ـ وحدة معجميّة مركّبة: متضامّة مكوّنة من مفردتين، إمّا بواسطة التّركيب الإضافي؛ الّذي قد يكون حرفاً كما في صيغة "أفعل"، أو كلمة مثل بعض الأسماء كـ"عبد الرّحمان" أو "آذان الأرنب": اسم نبات. وقد يكون تضام مزجيّ مثل: برمائي.

ـ وحدة معجميّة معقّدة: متضامّة مكوّنة من أكثر من مفردتين (وحدتين بسيطتين)، مثل: الشّريان السّباتي الباطن، أو من وحدتين مركّبتين، مثل: (جزاء سنّمار) أو (برمائي ـ سامرّاء). كما قد تكون هذه الوحدات متضادّة، مثل: "(الصّديق الحميم) (مع الأسف)".

وتجب الإشارة هنا إلى أنّ للوحدات المعجميّة مكوّنات ثلاثةٌ «لا يتحقّقُ وجودُ المفْردة في اللّغة عامّة وفي المعجم خاصّةً إلاّ بها، هي: المكوّنُ الصّوتي، المكوّنُ الصّرفي، المكوّنُ الدّلاليّ»[1]. وهو ما يُتبيّن أهمّيته عند الحديث عن وظائف المعجم (المحاضرة السّادسة)، والتّعريف في المعجم وضرورات الشّرح الّذي سنأتي عليه في محاضرة لاحقة.